أغاني أولادنا انتماء لبلادنا

صدرت الطبعة الأولى في العام 2001 والثانية عام 2005 من كتاب "أغاني أولادنا انتماء لبلادنا"- مقتطفات من أغاني الأطفال الشعبية- أعادت صياغتها السيدة نبيهة راشد جبارين. يقع الكتاب في 43 صفحة من الحجم الصغير مُحلّى برسومات شادي حبيب الله، وتصميم وطباعة دار النهضة للطباعة والنشر م. ض في الناصرة، وبغلاف كرتوني مقوى، وبطباعة أنيقة وفرز ألوان، وبدون دار نشر.

ومعدة الكتيب- حسب علمنا- سيدة فاضلة من قرية زلفة قرب أم الفحم في فلسطين.

واضح أن الكتيب ثمرة جهد طيب للسيدة نبيهة جبارين، أرادت من خلاله أن تساهم في جمع ما تستطيع من أغاني أطفالنا الشعبية، لتقدمها إلى

obeikandl.com

الأطفال، حيث جاء في الإهداء "إلى أطفال شعبي الذين سيدخرون في ذاكرتهم كنوز تراثنا وأغانينا الشعبية"، وهذا الإهداء يحمل في طيّاته دعوة من الكاتبة إلى الأطفال أن ينتبهوا إلى جذورهم، وإلى أصولهم الشعبية التي تحمل في طياتها كنوزًا من التربية والتعليم والقيم الحميدة. وعنوان الكتاب "أغاني أولادنا انتماء لبلادنا" يحمل في طياته معاني كثيرة، مع أن الكاتبة لم توفق في استعمال كلمة "أولادنا" حسب رأيي، لأن كل مولود ولد مهما كان عمره، فابني ولد وهو ولدي ولو كنت في المائة من عمري وهو في الثمانين من عمره مثلًا، وكان الأجدر استبدال كلمة "أولادنا" بـ "أطفالنا" لأن الطفولة محددة بسن معين، وهو سن ما قبل البلوغ، أو حتى سن ما قبل الثامنة عشرة حسب المصطلحات القانونية الحديثة. وما تبع عنوان الكتاب من جملة تفسيرية هي: "مقتطفات من أغاني الأطفال الشعبية" وكلمة "مقتطفات" المشتقة من الفعل "قطف يقطف" تعني هي الأخرى الاجتزاء من الأغنية، أي عدم إيرادها كاملة. وما جاء على الغلاف أيضًا "أعادت صياغتها نبيهة راشد جبارين"، وكان الأجدر استعمال كلمة إعداد وجمع، أو جمع وإعداد نبيهة راشد جبارين، لأن إعادة الصياغة تعني في طياتها استبدال الكلمات، وهذا لا يجوز، فمثلًا قد أنقل إليكم خبرًا باللغة المحكية، أو بجمل ركيكية، فيتدخل أحدكم ويعيد صياغة ما قلت بلغة فصحى مثلًا وبجمل جزلة مفيدة.

ومما يلفت الانتباه أن الكاتبة استعملت كلمة "تقديم" بدل مقدمة، والمقدمة يكتبها الكاتب نفسه، في حين يكتب غيره تقديما لما كتب.

ومع ذلك فإن الكتيب وما احتواه من أغاني أطفالنا الشعبية يبقى جهدًا طيبًا، ومساهمة رائعة في جمع وتدوين جانب من تراثنا الشعبي، الذي يتعرض للسرقة والضياع والطمس والتشويه، لأسباب كثيرة لسنا في مجال الحديث عنها هنا.

وعودة إلى المعاني التي يحملها عنوان الكتيب "أغاني أولادنا انتماء لبلادنا" فإن أهم معنى هنا هو أن التراث الشعبي جزء من الهوية الوطنية والثقافية والحضارية لأي شعب. والتراث هو ما ورثناه عن الآباء والأجداد، ومعروف أن الشعوب التي تنتج ثقافة وحضارة هي الشعوب التي تعرف الاستقرار، وشعبنا العربي الفلسطيني له حضارته الثقافية والحضارية، كونه أحد المساهمين في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ، مع التأكيد أن تراثنا الشعبي هو جزء أصيل من التراث العربي الشعبي في مجمله، وإن كانت له خصوصية معينة في بعض الجوانب وهذا أمر طبيعي.

ويبدو أن الكاتبة متخوفة من قضية الانسلاخ الثقافي عند جيل الأبناء- ومعها كل الحق في ذلك-، وهي بعملها هذا تحمل رسالة فيها دعوة إلى التمسك بالموروث الثقافي، والعودة إلى الجذور، فمن لا ماضي

لـه لا حـاضر ولا مـستقبل لـه. ويلاحـظ أن الأغـاني الـشعبية بمجملهـا، وأغاني الأطفال خصوصًا تحمل فـوارق مـا بـين منطقـة وأخـرى حتـى في نفس البلاد، وذلك بفعل اختلاف البيئة، واخـتلاف المهنـة التـي يمارسـها الآباء، فمثلًا:

"شَتّي يا دنيا وزيدي

بيتنا حديدي

تغنى في جنوب فلسطين كالتالي :

امطري وزيدي

بيتنا حديدي

عمنا أبو عبد الله

ورزقنا على الله

******

وامطري وزيدي

وبيتنا حديدي

وبيتنا شَعْر الغنم

وعمنا عبد الله

ورزقنا على الله

obeikandl.com

ويلاحظ أن الكاتبة قد تدخلت في بعض الأغاني وأكملتها من عندها، وكان الأولى بها أن تلجأ إلى كبار السن من الذكور والإناث وفي أكثر من قرية أو مدينة، لتحصل على النص الأصلي.

كما يلاحظ أنها خلطت بين أغاني الهدهدة- وهي الأغاني التي تغنيها الأمّهات لأطفالهن وبين أغاني الأطفال أنفسهم، فأغنية "هو دبع كركارة" هي أغنية هدهدة تشجع فيها الأمّهات أطفالهن عندما يبدؤون بالدرج، أي الانتقال من مرحلة الحبو إلى مرحلة المشي.

يبقى أن نقول إن الثماني عشرة أغنية التي وردت في الكتيب أغان رائعة، وتشكل إضافة نوعية إلى الجهود الفردية في جمع التراث الفلسطينية وإعادة إحيائه.

الرسومات

الرسومات التي أبدعها شادي حبيب الله جميلة، تناسب الموضوع، وتجذب الطفل القارئ إلى قراءة الأغنية.

(ج.س)

إصدارات ندوة اليوم السابع

أصدرت الندوة الكتب التسجيلية الآتية لما يدور في حلقاتها:

- **يبوس**. منشورات المسرح الوطني الفلسطيني، القدس، 1997.
- **إيلياء**. منشورات المسرح الوطني الفلسطيني، القدس، تموز 1998.
- **قراءات لنماذج من أدب الأطفال**. منشورات المسرح الوطني الفلسطيني، القدس، كانون أول 2004.
- **في أدب الأطفال**. منشورات المسرح الوطني الفلسطيني، القدس، تموز 2006.
- **الحصاد الماتع لندوة اليوم السابع**. منشورات دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، كانون ثان 2012.
- **أدب السجون**. منشورات دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، شباط 2012.
- **نصف الحاضر وكل المستقبل**. منشورات دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، آذار 2012.

obeikandl.com